كـــان وقـبـائـلـهـا «10»

محمد القعود
Kood500@hotmail.com

كان الكابوس
ينهض من نومه قلقاً، ومتوتّر الأعصاب،
يقلب طاولة الإفطار ويحطّم فنجان القهوة
ويصب لعناته على هواة التقليد
وعلى عصرٍ يتكاثر فيه لصوص المهن الشريفة.

كان الكابوس
يصرخ في وجه زوجته النكديّة
ويشبّهها بمنظّري الأحزاب العقيمة،
ويعبّر عن استيائه الشديد
لإسرافها في ماكياجها ومصاريفها اليومية،
واستخدامها المفرط للتعابير الناسفة للحكمة.

كان الكابوس
ينثر توتّره بصورةٍ لا شعورية
ويهمهم بكلمات تفوح بالثأر
وبردّ الصاع صاعين
لمن انتحلوا شخصيته الرسمية
وقلّدوا صوته وحركاته
في المؤتمر الصحفي للهمّ العام.

كان الكابوس
ينتّف شعيرات ذقنه الشعواء
ويرفع قبضة يديه متحدّياً
مَنْ مرّغوا سمعته التجارية
وجعلوه بضاعة صينية مقلّدة
في متناول جميع الجرذان.

كان الهذيان
يطل من جيب الماضي
ويملي شروطه على الرماد :
على العصافير أن تهزج بالزامل القبلي
وأن تتّهم سيمفونيات «بيتهوفن» بالزندقة
وقصائد «المتنبّي» و«درويش» و«البردُّوني» بالعمالة للحياة
والدعوة إلى المدنية، ومساندة الشرعية الشعرية..
وعلى المدينة أن تتعرى من أمنها
وتخلي نفسها من الإرادة، وتتفرّغ لعربدة الخوف والقذائف
وتبادر بعصيان مدني ضد نفسها..
وعلى الشوارع أن تكتظ بمواكب الفزع
وأن تنفي فراغها من ضجيج الناس
وأن تضجّ بمسيرات ملفّقة
ومؤيدة لـ «آر. بي. جي» يتقدمها الأشباح،
وسرّاق الثروات والثورات..
وعلى الحياة أن تعتذر للهمجية
وأن تمجّد كل مَنْ سقط وهو يدافع عن أعراف الجاهلية..
وعلى الجدران أن تزغرد للرصاص
وهو ينقش على صدرها حضوره الكثيف..
وعلى الأطفال أن يمزّقوا دفاترهم المدرسية
ويشنقوا أحلامهم فوق أعمدة النور المطفأة
ويلتحقوا بقافلة الضياع..

كان الهذيان
يجمّع كلامه المرقّع بخيوط البلادة
ويأخذ من كل جملة كلمة شاردة،
ويختطف من شارع اللغة فكرة مسالمة،
ويغتصب في قارعة الطريق
كل قصيدة لا تعترف بفحولته الشعبية.

كان المجهول
يُلقي تعليماته على أولاده الكُثر،
ويبتسم بخبثٍ للنازحين إلى جوعهم وقراهم،
ويصفّر فمه بسعادة خالية من كسترول الخسائر
كلما رأى الجنائز تتكاثر،
ويرقص طرباً أمام البيوت المثخنة بالقذائف،
ويشرب نخب النصر المؤزّر بالحطام
كلما رأى صحف التفاهة تتباهى بأخباره،
ويطبع قُبلة ساخنة على جبين حامل أسراره،
كلما قرأ اسمه قرين الرعب
ويصرف مكافأة مجزية من الدم
لكل كارثة تنكر علاقتها به.

كان المجهول
حين يتعب من تفقّد أملاكه وضحاياه
يستريح في أول شارع مهجور وأرمل
يطلب كأساً مثلّجاً من المشروبات الروحية
ورقصة تمثّل أوجاع الناس،
وبذوق مهذّب يطلب من سائق سيارة الفراغ
أن يلتزم بقواعد المرور.. فالإشارة حمراء
والمشاة الذين لا وجود لهم، يعبرون إلى الفجيعة.

كان المجهول
يلبس «تي شيرت» وبنطلوناً «برمودا»
وقبّعة صيّاد، وبندقية سريعة الأحزان،
ويسير مخفوراً بدعاء الوالدين
وأرصدة منتفخة بالشبهات
ومجاميع متبرّجة بالكراهية،
وبدعمٍ رصاصيّ من رعاة المواهب.

كان المجهول
يحرّض الشائعات على تقديم عروضها السحرية
ويستحثّ المجاعة على قدومها المبكر
ويشجّع الخوف على زيارة البيوت
وتحصين الناس بلقاح ضد الصبر
ويبارك للقطاء الشعارات العابرة
سيطرتهم على حروف الجر ولام الجحود.

كان الغد
يعبر الشوارع متنكراً في زي الخراب
باحثاً عن جماعة فقيرةٍ من أرصدة الخيانة،
تحترف عشق الأوطان، وتجيد الخشوع في الصلاة
تكره الحروب المعلّبة، وخطب الغنائم.

كان الغد
يدحرج أنبوبة الغاز الفارغة
ويسأل الرصاصة العابرة عن عنوان للسوق السوداء..
يحمل فوق ظهره قربة ماء خاوية
وينتظر غيمة حبٍّ تمطر هداياها.

كان الغد
ينزح إلى مشارف المدينة الموبوءة
ويطلب عبر مكبّرات الصوت
جبالاً يعتصم في كهوفها،
ومروة تضمّد جروحه، وتلجم هبوب تشرّده..
ووجوهاً تنتمي إلى الإنسانية.

كان الغد
يتقاسم سيجارته مع ثلاثة من أقربائه
ويكتم دخانها في صدره
حتى لا تباغته فضائية بخبر كاذب
عن سقوطه في الامتحانات العامة.

كان السوق
يكتب فوق دكاكينه : مغلق حتى حياة أخرى،
ويغطّي جثّة ملقاة على الطريق
بصحيفة حزبية عنوانها الرئيسي
يبشّر القراء بسقوط النظام.

كان السوق
يشكو من الوحشة
ويبعث برقيات التعازي
إلى أسر الباعة المتناثرين
تحت شظايا القذائف المجنونة.

كان السوق
ينضم إلى الأسواق المرعوبة
ويسير الجميع في مظاهرة صامتة
نحو سفارة الشيطان.

كان الغباء
يرسم لوحاته السريالية بشغف مثير
ويتّهم «سلفادور دالي» بسرقة أفكاره
والخروج على مذهبه الفني وتزوير توقيعاته
وفي بعض حالات النشوة
يلمّح إلى أن «بيكاسو» اللعين فقير الموهبة
وعجوز متصابٍ وصاحب شطحات غريبة
لذلك كان يتغاضى عن فساد ذوقه
ويدعو له بالهداية.

كان الشرّ
يقيم حواجزه فوق كل سطر
وبين أزقّة الحارات،
وحين يمرّ القانون يفتّشه
ويسأله بصفاقة : هل معه تصريح مرور
من عاقل الحارة؟!

كان الشرّ
يدخل إلى رياض الأطفال
ويسلب ما في حقائبهم من حلوى وطمأنينة
وأمام صراخ هلعهم
يشرح لهم كيف يعمل «الكلاشينكوف»
ومم يتكوّن سلّمه الموسيقي :
– «بم .. قح .. ببم، قح .. ببم، بم، بم .. قح .. ببم .. ببم»
«دو .. ري .. مي .. فا .. صول .. لا .. سي.. دو».

كان الشرّ
يتوظّأ لصلاة الجماعة
وفي الطريق يتحرّش بخَصرٍ مغناج
ويلطش طحين الأيتام
ويصادر صندوق تبرّعات أهل الخير،
ويدهس بعجلات العنجهية الساق الباقية لمعاق عابر،
ويختّلي بفيديو كليب «هيفاء وهبي»
فتصرخ بميوعة «رااجب حووووش صاحبك عنّي».

كان الربيع
يتّكئ على سيرته الذاتية
يحشو فمه بالقات الرديء
وبعد أن يقضي على التعميرة الخامسة للنارجيلة
تنطلق شطحاته، وتنهمر دموعه
ويشكو بمرارة ماذا فعلت به أصابع الخريف
وصبيان الفصول الذابلة.

● مقاطع من نص طويل

إصدارات ثقافية

تاريخ معرض كتاب فرانكفورت

■ صدر عن دار الكتب الوطنية في هيئة أبوظبي للثقافة والتراث كتاب «تاريخ معرض فرانكفورت للكتاب» من تأليف بيتر وايد هاوس»، ترجمه إلى الإنجليزية وحرّره ج.م.غوساج وو.أ.رايت، ونقله إلى العربية د.عدنان خالد عبدالله.

يتحدث الكتاب عن بدايات نشوء معرض فرانكفورت أكبر وأشهر معارض الكتب العالمية، وقدمه التاريخي حيث تعود فكرته إلى القرن الثالث عشر (عام ١٣٧٠م)، في مدينة فرانكفورت التي عدت مركزاً سياسياً مهماً في أوروبا، واشتهرت تاريخياً في القرون الوسطى.

ويصف الكتاب ما مرّ به هذا المعرض من مؤثرات وتغيّرات جعلته يتقدّم حيناً، ويتأخر حيناً آخر، وأثر اختراع جوتنبرج تقنيات الطباعة عام ١٤٤٥ في مدينة ماينز، قرب فرانكفورت.

ويُشير إلى أنه ليس هناك يوم تأسيس رسمي لمعرض فرانكفورت للكتاب، ولكن يُمكن إثبات أنّ السوق تطوّرت إلى معرض للطابعين والناشرين بحلول عام ١٤٦٢م.

ويبرز الكتاب تأثر معرض فرانكفورت الواضح بمعرض ليبزغ، ويبحث فيما حصل من اضطرابات بين الشرق والغرب والحروب العالمية، وما كان للصحافة من دور بارز، ويُشير إلى التحوّل الذي طرأ على المعرض منذ عام ١٩٦٨.

ويذهب بنا الكتاب إلى التأثير الذي أدته التجارة في المعرض، والشهرة العالمية التي حققها خلال رحلته الثقافية، ثم يوضح أثر المتغيرات السياسية في البلاد، والبنية التحتية في ازدهار المعرض، فقد انحدر معرض فرانكفورت بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، ثم عاد إلى ازدهاره.

ويصل المؤلف بالكتاب الذي صدر بالألمانية عام ٢٠٠٧، إلى عصرنا الحالي، حيث يتحدث عن المعرض الإلكتروني الذي أنشأته فرانكفورت.

يُذكر أنّ الدورة الماضية من معرض فرانكفورت للكتاب حضيت بمشاركة قياسية من ٧٥٣٣ دار نشر من ١١١ دولة. وكان قد تمّ اختيار العالم العربي ضيف الشرف في معرض فرانكفورت للكتاب في دورته التي أقيمت عام ٢٠٠٤.

تقع مدينة فرانكفورت على ضفاف نهر الماين، وتعد إحدى أقدم المدن التي بدأت في إقامة المعارض في العالم. فمنذ أن شيد القيصر فريدريش أرض المعارض بفرانكفورت في سنة ١٢٤٠م وهي تعتبر من أهم مراكز المعارض على مستوى العالم.

«الجغرافيا السياسية للمتوسط»

■ أصدر مشروع «كلمة» التابع لهيئة أبوظبي للثقافة والتراث كتاباً جديداً تحت عنوان: «الجغرافيا السياسية للمتوسط» لمؤلفه إيف لاكوست، وقامت بترجمته د. زهيدة درويش جبور.

يتناول الكتاب منطقة من العالم تضم خمسة وعشرين بلداً تصل بينها مساحة بحرية واحدة تتصل فوق ذلك بالمحيطات بواسطة ممرات ومضائق، ما يمنحها أهمية استراتيجية خاصة، ويتميز الكتاب بشموليته مسلّطا الضوء على المشكلات الجيوسياسية والمخاطر التي تنطوي عليها وذلك لقناعة راسخة لدى المؤلف بأن التفكير العقلاني بهذه المشكلات ليس حكراً على المختصين والمسؤولين السياسيين فقط، بل هو أمر يعني الجماهير جميعاً ومن المهم أن يدرك هؤلاء مدى تعقيد وخطورة بعض المشكلات القائمة في بلدان بعيدة عنهم نسبياً كما في داخل بلدانهم لكي يتمكنوا من مواجهة التهديدات أو الحلول المطروحة التي قد تكون أحياناً أخطر من المشكلات ذاتها.

يستعرض الكتاب صراعات النفوذ في هذه المنطقة من العالم التي تتشابك فيها المشكلات وتتعارض المصالح، إلا أن أهميته تكمن في أنه ينقد الصورة النمطية التي تردّ هذه الصراعات إلى التناقض بين ضفتي المتوسط، ويدحض النظرة الثنائية التبسيطية التي تضع دول شمال المتوسط في مواجهة دول جنوبه، وهي نظرة يتبناها منظرو الصراع بين الحضارات وبين الديانات الكبرى، ذلك أن المؤلف يلفت إلى أن الحضارات ليست كتلاً متجانسة وبالتالي فلا يمكن اختزال الصراعات على السلطة في منطقة المتوسط في التنافس بين العالمين الإسلامي والمسيحي، بل إن الحملات الصليبية نفسها في العصر الوسيط لم تكن بهذه البساطة بل كانت تعود إلى أسباب عدة لا تمت إلى الدين بصلة.

وكما أن الدراسة تنطلق من الواقع الجغرافي لمنطقة المتوسط كذلك ترتكز الى علم التاريخ لأن الفكر التأريخي والمنهج التحليلي الجيوسياسي توأمان لا ينفصلان. فهي تسعى الى تكوين فهم للصراعات الراهنة يقوم على أساس الربط بين الأماكن التي تحتلها هذه الصراعات على الخرائط وبين تحليل للنتائج الراهنة لأحداث حصلت في الماضي البعيد أو القريب، مما يضفي على الكتاب الطابع الموسوعي إذ يضم كل فصل من فصوله الثمانية عشر معلومات غنية عن تاريخ تكوين كل دولة من الدول وعن مشكلاتها الداخلية والخارجية، بحيث يمكن اعتباره في الوقت نفسه كتاباً في الجغرافيا السياسية وفي التاريخ وفي علم الاجتماع السياسي، فهو يستحضر الماضي ويقرأ الحاضر ويستشف المستقبل.

مؤلف الكتاب، إيف لاكوست، جغرافي ومؤرخ أرسى دعائم البحث الجيوسياسي في فرنسا منذ خمس وعشرين سنة، وُلد في المغرب حيث أمضى طفولته قبل أن يصبح مدرّساً في الجزائر العاصمة بين ١٩٥٢ و١٩٥٤، ويساهم في نضال الجزائريين من أجل نيلهم الاستقلال.

مترجمة الكتاب، الدكتورة زهيدة درويش جبور أستاذة الأدب الفرنسي والفرنكفوني في الجامعة اللبنانية وناقدة أدبية لها عدة كتب منشورة في لبنان وفي فرنسا باللغتين العربية والفرنسية وعدة ترجمات منها: «القيم الى أين؟» الصادر عن منظمة الأونيسكو، « بانتظار بدر البدور» لبطرس غالي، «حزيران والكافرات» للشاعرة الفرنكفونية ناديا تويني، و «ليل القرّاص» للشاعرة اللبنانية باللغة الفرنسية فينوس خوري غاتا. وهي عضو لجنة التحكيم في جائزة ابن خلدون –سنغور للترجمة التي تمنحها المنظمة الدولية للفرنكفونية والمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، الألكسو.

زنوبيا ملكة تدمر والشرق

■ قدم الباحثان خالد الأسعد والبروفسور الدنماركي فيين أوفه ويدبرغ هانسن في كتابهما زنوبيا ملكة تدمر والشرق دراسة شاملة عن تاريخ مدينة تدمر وحياة ملكتها زنوبيا التي حققت شهرة واسعة ومكانة لائقة لها إلى جانب نساء الشرق القديم الشهيرات مثل الملكة البابلية سميراميس والمصرية كليوباترا وملكات البتراء وغيرهم.

وقسم الباحثان الكتاب الذي صدر في دمشق مؤخراو يقع في ٢٨٠ صفحة من القطع المتوسط إلى أربعة عشر فصلا وثقت بصور وخرائط لأهم معالم المدينة الأثرية تضمنت تاريخ مدينة تدمر وعلاقاتها التجارية والدولية والعمرانية في ظل حكم الملكة زنوبيا إضافة إلى أوابدها الخالدة التي حافظت على غنى المدينة كمركز يقع بين الإمبراطوريتين فارس وروما.

وتضمن الكتاب في الفصول الأولى معظم الدراسات الغربية عن الحضارات الشرقية التي جعلت من مدينة تدمر وأوابدها الخالدة بوابة الحضارة السورية والمدينة والحلم لكل مثقفي العالم وجنة العلماء والباحثين وقبلة لمختلف السياح.

كما جعلت من ملكتها زنوبيا أسطورة في روايات ومؤلفات الأدباء المتفتحين على الآداب الكلاسيكية في الغرب بعد عصر النهضة ومنهم الألماني يان غروتر في هايدلبرغ الذي نشر عام ١٦١٦ دراسة عن روما بعنوان مجموعة الكتابات الرومانية اعتمد فيها على منحوتة تدمرية تمثل الربين التدمرين عجليبول وملكبل.

وقال الباحثان إن زنوبيا وحياتها الدرامية استرعت انتباه كتاب السيرة العرب وشحذت صفاتها كشخصية عسكرية وسياسية قرائح الشعراء الذين افتتنوا بحياتها وفتوحاتها وبنهاياتها الأخيرة في بلاد الغربة.

وأشار الباحثان في الفصلين الثالث والرابع من الكتاب إلى ان تدمر شكلت خلال فترة حكم أسرة الملك اذينة وزنوبيا ما بين أعوام ٢٣٥ و٢٧٣م قوة كبيرة بنفوذها وعلاقاتها التجارية وتطورها العمراني الواسع من خلال شبكة الطرق البرية والبحرية الممتدة من الصين حتى قادس على المحيط الأطلسي حيث كان التدمريون تجارا عالميين استفادوا من أرباح التجارة الدولية التي أقاموها وبنو محطاتها ونظموا قوافلها وحمو طرقها مستفيدين من علاقاتهم مع روما وفارس.

وأوضح الباحثان أن تدمر شكلت أيضا نقطة التقاء لجميع الناس كأغنى وأجمل المدن في العالم على طريق الحرير وهذا ما أكدته آثارها التي ما زالت قائمة حتى اليوم لاسيما معبد بل أكبر معابد المدينة والشارع الطويل وما يتضمنه من أبنية أهمها المسرح والمعبد القيصري وحوض عرائس الماء إضافة إلى الحمامات بأعمدتها الغرانيتية الضخمة وقوس النصر ونبع أفقا المقدس وغيرها.

وأشار الباحثان إلى أن المصادر التي تم اعتمادها في الكتاب اتسمت بالتنوع والشمولية ومن بين أقدم هذه المصادر هي النقوش المكتوبة بالآرامية من تدمر والمناطق المحيطة بها والى حيث وصلت قوافلها وجنودها ثم النقود المسكوكة أيامها إضافة إلى الأعمال التاريخية المكتوبة باللاتينية واليونانية التي تراوحت في درجة مصداقيتها بين الحقيقة والخيال الأمر ذاته ينطبق على الأعمال التاريخية العربية التي تناولت ملكة الصحراء باسم زنوبيا أو الزباء كالرحلات الاستكشافية وأخيرا المكتشفات الأثرية التي تمت بها منذ القرن الثامن عشر وحتى الآن.